

## الحملة الانتخابية وهزيمة فتح

### د. محمد عبد العزيز ربيع

تتيح العملية الديمقراطية للقوى السياسية المنظمة والممولة تمويلًا جيدًا، والقادرة على تصميم وإدارة حملة انتخابية ذكية فرصة كبيرة للفوز. ويتحتم على الحملات الانتخابية التي تتوفر لها فرص النجاح أن تصمم برامج انتخابية تجمع بين الواقعية السياسية والتصدي للمشاكل الملحة والتجاوب مع التطلعات الشعبية للجماهير المستهدفة، وأن تعمل على دغدغة مشاعر الناخبين بالوعود التي تحمل الأمل بالإصلاح وتحقيق الأمنيات. وتختلف البرامج الانتخابية للأحزاب الحاكمة عادة عن برامج المعارضة، إذ بينما تسعى الأولى للحفاظ على مواقعها السلطوية، تسعى الثانية إلى الوصول إلى الحكم على حساب التكتل السياسي الحاكم. وتستند الأحزاب الحاكمة في برامجها الانتخابية إما إلى سجلها وحصيلتها إنجازاتها السابقة، أو لحقها في استكمال ما بدأت من برامج إصلاحية. وبناءً عليه، تطلب من الناخبين فرصة جديدة لمواصلة المسيرة واستكمال ما بدأت من برامج إصلاحية وتنموية تصب في مصلحة الوطن والمواطن.

وعلى سبيل المثال، قام الرئيس كلينتون أثناء حملته لفترة الرئاسة الثانية بتصميم برنامجه الانتخابي على أساس إنجازات إدارته في فترة رئاسته الأولى والتي تميزت بتحقيق إنجازات اقتصادية وغير اقتصادية كثيرة، كرفع معدلات النمو في الإنتاج، وخفض معدلات البطالة، وتحقيق فائض في الميزانية، وتعزيز مكانة أمريكا على الساحة الدولية. ولقد أدى ذلك إلى تقوية مصداقية كلينتون وساهم في إعادة انتخابه لفترة رئاسية ثانية. وهذا يعني أن رسم خطة انتخابية تركز على الإيجابيات وتقديم الوعود التي تبعث على الأمل والطمأنينة في نفوس الناخبين هي إحدى أهم عوامل النجاح. إلى جانب ذلك، قد يتجه البرنامج الانتخابي للحزب الحاكم إلى تصميم حملة تركز على سلبيات المعارضة، خاصة أثناء الأزمات الوطنية والاحتقانات الدولية، والقيام بتخويف الشعب من عواقب تغيير الإدارة واستبدالها بإدارة جديدة لا تمتلك الخبرة لإدارة شؤون البلاد في لحظة تاريخية حاسمة. كما قد تقوم الحملة بالادعاء بأن الفلسفة السياسية لقوى المعارضة من شأنها توريث البلاد في أزمات دولية ذات عواقب وخيمة، أي تحذيرهم من مغبة الثقة بقوى سياسية قليلة الخبرة وميالة للمغامرة.

وعلى سبيل المثال، استطاع السيد شرودر، المستشار الألماني السابق، إقناع الناخب الألماني في عام 2003 بأنه لن يشارك في الحملة الأمريكية - البريطانية على العراق، وأنه لن يورث البلاد في حرب تقودها أمريكا وليس لألمانيا مصلحة فيها. ولقد كان هذا الموقف هو العامل الحاسم في إعادة انتخابه واحتفاظه بالحكم، وذلك بالرغم من تعثر برنامجه الاقتصادي. أما الرئيس بوش فقد استخدم في حملة إعادة انتخابه أسلوب تخويف الناخب الأمريكي من الإرهاب، والقيام باتهام منافسه مرشح الحزب الديمقراطي بالضعف وعدم القدرة على الحسم، والتشكيك في قدراته على حماية الشعب الأمريكي من الأخطار المحدقة وتعزيز أمن البلاد. وهذا يعني أن بوش وشرودر استخدمتا إستراتيجية انتخابية قامت على تخويف الناس مما يخشون وقوعه، وتحذيرهم من التورط في مغامرات عسكرية وسياسية لا مبرر لها.

إن إلقاء نظرة على برنامج فتح الانتخابي في ضوء هذه الاستراتيجيات الانتخابية، سوف تظهر عدم وجود ما من شأنه تعزيز احتمالات الفوز. ويعود السبب في ذلك إلى عوامل عدة، أهمها تميز إدارة الحكم الفتحوية بالسلبيات التي يصعب حصرها، والفشل الذريع في إدارة

العملية التفاوضية مع الإسرائيليين والأمريكيين، والتخبط في محاولات ضبط الأوضاع الأمنية، والسماح بتفشي الفساد، وتنامي ثروات المسؤولين الحكوميين والمتنفذين من رجال الأعمال على حساب تزايد معدلات الفقر والبطالة والبطش بين عامة أفراد الشعب. إضافة إلى ذلك، كانت فتح قد راهنت على نهج تفاوضي بدأ بأوسلو في عام 1993 للوصول إلى حل سياسي مع دولة إسرائيل استهدف، بين أشياء أخرى، إقامة دولتين لعرب فلسطين ويهودها تعيشان جنبا إلى جنب في سلام. إلا أن قصور وعي المفاوض الفلسطيني بفن التفاوض، وبالعقوبة اليهودية، وبكيفية التعامل مع مراكز القوى على الساحة الأمريكية من جهة، والتعنت الإسرائيلي والمراوغة الأمريكية من جهة ثانية، وضعف هيئة الأمم والدول العربية، أدت إلى فشل المفاوضات في تحقيق الحد الأدنى من الوعود التي حملتها أوسلو، والآمال التي روجت لها القيادة الفتحاوية.

وفي الواقع، لم يكن بإمكان اتفاقية أوسلو، وليس من أهدافها من وجهة النظر الإسرائيلية، إقامة دولة فلسطينية قادرة على امتلاك الحرية والاستقلالية والحيوية الاقتصادية. لقد كانت أوسلو الخطأ الذي قارب مرتبة الخطيئة، وحبل النجاة الذي أنقذ رابين من وزر جرائمه في حق أطفال الحجارة، وطريق الهروب لقيادة منظمة التحرير من هاوية الإفلاس المالي والسياسي. لكن حبل النجاة الذي أنقذ الجناة والمفسلين، كان حبل المشنقة الذي استخدم ولا زال يستخدم لتضييق الخناق على رقبة القضية الفلسطينية وشعبها الذي يرفض الاستسلام.

إضافة إلى كل هذه المشاكل، جاء دخول فتح غمار المعركة الانتخابية دون إعداد جيد، ودون موقف موحد، ودون وحدة داخلية. وليس من شك في أن فقدان ياسر عرفات، وغياب شخصيته القيادية عن الساحة السياسية أتاح الفرصة لوقوع الخلافات في الرأي والصراع على المناصب القيادية. وبالرغم من تضعف فتح، إلا أنها خاضت المعركة الانتخابية في حالة اطمئنان وترهل واثقة من الفوز. ولقد تسبب ذلك الترهل في خروج 78 مرشحا من أبنائها على الإجماع ودخول المعركة كمستقلين، مما سلب مرشحي فتح الرسميين مئات الآلاف من الأصوات، وساهم في إفشال ما يقدر بـ 22 من مرشحي الحركة وحرمانهم من الوصول إلى المجلس التشريعي.

وفي المقابل، دخلت حماس المعركة الانتخابية على أتم الاستعداد، إذ قامت بحشد الإمكانيات المادية والبشرية والفنية المطلوبة لتعظيم فرص الفوز. لقد انتقت حماس شعاراتها بعناية وذكاء، مركزة على المبادئ الأساسية التي رفعتها الثورة الفلسطينية في مراحل انطلاقها الأولى، وعلى سجلها الناصع في خدمة المجتمع الفلسطيني، وعلى التضحيات الكبيرة التي قدمتها خلال عمليات الكفاح المسلح ضد الوجود الصهيوني. كما قامت حماس أيضا بحشد وسائل نقل لضمان وصول أعضائها ومؤيديها إلى صناديق الاقتراع صباح يوم الانتخابات، والتأكد من قيامهم بالتصويت لصالح مرشحها.

لذا يمكن القول أن نجاح حماس جاء بسبب التزام أعضائها، وإتقان حملتها الانتخابية، وذكاء المشرفين على تلك الحملة من جهة، وفشل فتح، وقيادة وأعضاء ونظام إدارة حكومية وسياسية، في إدراك طبيعة المعركة الانتخابية وقراءة التحولات الشعبية.